# الافتتاحيّة

## عزّة الأمّة الإسلاميّة في وحدتها واتّحادها

الشيخ حسن أحمد الهادي[1]

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وبعد...

لقد حرص الإسلام في نظرته إلى الإنسانيّة على إرساء قواعد الوحدة بين أفراد الإنسانيّة جمعاء؛ فلا مائز بينهم، لا من حيث الأجناس، ولا من حيث الألوان، ولا من حيث الأقاليم، فالجميع من نفس واحدة، وطينة واحدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2]. حتى إنّ الاختلاف الشكليّ أو الظاهريّ الموجود في اللون أو اللغة ونحوهما، إنْ هو إلّا آية من آيات الله، لها حكمتها وفلسفتها الخاصّة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[3].

ولهذا، يمكن القول: إنّ الفرقة القسريّة التي تفرضها طبيعة الأرض من مساحات ومسافات وما شاكل، أو القوميّات والأجناس ونحوهما، لا تحرف

(1) رئيس تحرير مجلّة الحياة الطيّبة التخصّصيّة.

(2) سورة النساء، الآية 1.

(3) سورة الروم، الآية 22.

مبدأ التلاقي الإنسانيّ بين جميع بني البشر أو تلغيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]. فمبدأ التعارف القرآنيّ هذا يلغي المسافات ويقرّب القلوب، ويفرض على الجميع نوعاً من الإلفة والمحبّة والتعاون والإيثار، وهي أهمّ ركائز الوحدة المرجوّة.

وإنّ الأحكام والقوانين العباديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة الإسلاميّة، قد نُظّمت بنحوٍ يحقّق هذا الهدف الحيويّ العظيم. وعلى هذا، فإنّ جميع المسلمين - كما في الآية - أُمّة واحدة، لا تستطيع الفوارق العرقيّة أو القطريّة أو البلديّة أو القرويّة أو القبليّة أو الصنفيّة أو الحرفيّة، وحتى العقديّة أو المذهبيّة، أن تقوّض هذه الوحدة؛ لأنّ منشأها هو الاعتقاد بالقرآن والإسلام؛ أي الشهادة بوجود الله ووحدانيّته، والشهادة بحقانيّة المعاد، والشهادة برسالة النبيّ محمّدﷺ التي يشترك فيها جميع المسلمين.

كيف لا؟! فجميع الفرق والمذاهب الإسلاميّة تعتقد بوجود الله والمعاد ونبوّة النبيّ محمّدﷺ، ويعتبرون القرآن الكريم كتابهم السماويّ الدينيّ، وهم يتّجهون بأجمعهم في الصلاة نحو القبلة، ويعتبرون الصلاة والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأحكام الإسلاميّة، بل يتّفقون في آلاف المسائل. نعم، يختلفون في بعض الموارد، ولكن هذه الاختلافات لا تخرجهم عن دائرة الإسلام؛ ولهذا يُعدّون جزءاً من الأمّة الإسلاميّة الواحدة، فيجب أن يتمسّك الجميع بحبل الله، وهو القرآن والإسلام، الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].



(1) سورة الحجرات، الآية 13.
(2) سورة آل عمران، الآية 103.

## ما هي الوحدة المرجوّة؟

يُعدُّ الإسلام المسلمين أُمّةً واحدةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

والأُمّة - في اللغة - كلُّ جماعةٍ يجمعهم في حياتهم هدف واحد، ويتعاونون فيما بينهم لتحقيق ذلك الهدف.

إنّ الإسلام كما يهتمّ بالفرد، فيعتني بتزكيته وتهذيبه، ويعمل على تربيته وتكميله، كذلك يهتمّ بالمجتمع، في كلّ مكوّناته؛ ولهذا اهتمّت تشريعات الدين الإسلاميّ بسلامة المجتمع، واعتنت به عنايةً كاملةً، فمنعت من التفرقة والتشتُّت منعاً شديداً، وشبّهت أفراد المجتمع الإسلاميّ بأعضاء الجسد الواحد، وقد أشير إلى هذا الأمر في أحاديث كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

ما ورد عن رسول الله ﷺ: «**المؤمنُ لِلمؤمنِ كالبُنْيانِ، يَشُدُّ بَعَضُه بَعضاً**»[2].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام، قَالَ: «**لَا وَاللَّه، لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً أَبَداً، حَتَّى يَكُونَ لِأَخِيهِ مِثْلَ الْجَسَدِ، إِذَا ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ وَاحِدٌ تَدَاعَتْ لَهُ سَائِرُ عُرُوقِه**»[3].

وعن لقمان بن بشير، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**مَثلُ المؤمنين في توادّهم وتَراحُمِهِمْ وتعاطفِهِمْ مَثلُ الجَسَد، إذا اشتكى مِنهُ عضوٌ تداعى لَه سائرُ الجَسَد بالسَهَر والحمّى**»[4].

وعَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، هُوَ عَيْنُهُ وَمِرْآتُهُ وَدَلِيلُهُ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَخْدَعُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَغْتَابُهُ**»[5].

(1) سورة الأنبياء، الآية 92.
(2) النيسابوري، مسلم: صحيح مسلم، لا ط، بيروت، دار الفكر، لا ت، ج 8، ص 20.
(3) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، تحقيق: إبراهيم الميانجي؛ محمد باقر البهبودي، ط2، بيروت، مؤسَّسة الوفاء، 1403هـ.ق/1983م، ج71، ص274.
(4) النيسابوري، صحيح مسلم، ج 8، ص 20.
(5) م.ن، ص270.

وقد حذّر الله تعالى المسلمين من النزاع والاختلاف، اللذين هما من عوامل التفرقة والضعف في المجتمع الإسلاميّ، بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

وعندما نتعمّق قليلاً في التشريعات العباديّة في الإسلام، نجد أنّها تحتوي على تشريع لعبادات جماعيّة لها الكثير من الدلالات في هذا المجال، مثل: صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وصلاة العيد، والاشتراك في مراسم الحجّ، وغيرها.

عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَن، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام في حَدِيثٍ، قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ رَغْبَةً عَنْهَا وَعَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ**»[2].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام، قَالَ: «**مَنْ خَلَعَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ قَدْرَ شِبْرٍ، خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِه**»[3].

ولقد اعتنى رسول الإسلام بوحدة الأمّة الإسلاميّة عناية بالغة، إلى درجة أنّه منذ أن حطّ في المدينة - بعد هجرته من مكّة - كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وبهذه الطريقة عقد بينهم ميثاق الوحدة.

ولقد روى ابن هشام نصّ هذا الميثاق التاريخيّ الهامّ جدًّا، نذكر منه محلّ الشاهد فقط، وهو:

**«بسم الله الرحمن الرحيم**

**هذا كتاب من محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بين المؤمنين والمسلمين، من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحقَ بهم، وجاهد معهم، أنّهم أمّة واحدة من دون الناس؛ المهاجرون من قريش على ربعتهم[4] يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين... وأن لا يحالف مؤمن مولى**

(1) سورة الأنفال، الآية 46.

(2) الحرّ العامليّ، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط2، قم المقدّسة، مطبعة مهر، 4141هـ.ق، ج 5، باب 2 من أبواب صلاة الجماعة، ح7، ص292.

(3) م.ن، ح11، ص 294.

(4) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

**مؤمن دونه، وإنّ المؤمنين المتّقين يد على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[1] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإنّ أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإنّ ذمّة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس»**[2].

بل إنّ النبيﷺ لم يكتفِ بالميثاق المذكور، بل آخى بين أصحابه في المدينة... يكتب ابن هشام في هذا الصدد قائلاً: «وآخى رسول اللهﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل -: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب، فقال: هذا أخي؛ فكان رسول اللهﷺ سيّد المرسلين وإمام المتّقين ورسول ربّ العالمين، الذي ليس له خطير[3] ولا نظير من العباد، وعليٌّ بن أبي طالب عليه السلام عنه أخوين (إلى آخره)»[4].

من مجموع هذه النصوص والشواهد يُستفاد أنّ رسول اللهﷺ، حيث كان عارفاً بأهمّيّة وحدة المسلمين وضرورتها القصوى، عمد منذ البداية إلى ترسيخ أسس الوحدة وتوثيق عُراها والاستفادة من كلّ وسيلةٍ مشروعةٍ ممكنةٍ في هذا السبيل.

## التعاون سبيل تحقيق الأهداف

إنّ المقصود من الوحدة الإسلاميّة، ليس أن يتخلّى أصحاب المذاهب المختلفة عن عقائدهم الكلاميّة وآرائهم الفقهيّة، ويتّبعوا الآخرين؛ فإنّ هذا الأمر لا يمكن أن يتحقّق بهذه السهولة، بل المقصود هو أن ينظروا إلى أصل إسلامهم (أي أصل كونهم مسلمين)، وإلى المئات والآلاف من

(1) الدسيعة: وهي في الأصل ما يخرج من حلق البعير إذا رغا، وأراد بها هنا: ما ينال عنهم من ظلم.
(2) الحميري، ابن هشام: السيرة النبويّة، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد، لا ط، القاهرة، مطبعة المدني، 1383هـ.ق/1963م، ج 2، ص 348 - 349.
(3) الخطير: النظير والمثيل.
(4) الحميري، السيرة النبويّة، م.س، ج 2، ص 351.

أوجه الاشتراك فيما بينهم، ويتغافلوا عن الاختلافات والفوارق الجزئيّة، ويتّحدوا، ويتعاونوا فيما بينهم للوصول إلى الأهداف المشتركة، والتي على رأسها التعاون فيما بينهم لتبليغ الإسلام والترويج لعقائده وقِيمه، والعمل على نشره في العالم كلّه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، والدفاع عن القرآن والإسلام، وردّ عادية الكفر والاستكبار العالميَّين الساعيين إلى إطفاء جذوة الإسلام، وطمس معالمه، وإخماد نور الله وإخفائه، ومقارعة الاستغلال البشع لثروات المسلمين، والسيطرة على مصادرهم الاقتصادية بواسطة قوى الكفر والاستكبار العالميَّين، والوقوف في وجه تصدير الثقافة المادّيّة، والمفاسد الأخلاقيّة إلى المجتمعات الإسلاميّة على أيدي أعداء الإسلام.

**ختاماً،** لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المسلمين لا يعانون مشكلة أو خللاً في الأسس النظريّة للوحدة، بل إنّ أهمّ ما تحتاجه وحدة المسلمين هو التوافق على منهج علميّ جادٍ وجريء ومشترك لقراءة المبادئ والأصول التي وقع الاختلاف فيها، تمهيداً لنشوء نوع من التكاون المنهجيّ والمعرفيّ، الذي إن توافق المسلمون على قبوله وتحكيمه، لتمكنّا من حلّ نصف المشكلة، ويبقى القسم الآخر منها على عاتق العلماء والقادة المدعوّين لإغلاق كياناتهم المذهبيّة الضيّقة لحساب كيان الإسلام الكبير، واتّخاذ القرارات الجريئة، بإعلان الموافقة على مبدأ الوحدة، والسعي العمليّ لمأسستها وتحويلها إلى عنوان للتلاقي والدفاع عن المسلمين، وحماية الإسلام ومقدّساته.

ولهذا، يمكن القول: إنّ مختلف عناوين الوحدة وأشكالها وصورها القائمة على المجاملات، والتي لا تتعدّى حدود الألفاظ والشكليّات، لا يمكن لها أن تحقّق أدنى غاياتها، ولو كانت بأفضل صورها وأجملها وأرقاها، وليس هي التي يطمح إليها المسلمون الحريصون على قدسيّة الإسلام ومصالح بنيه

(1) سورة التوبة، الآية 33.

وحفظ ثوابته العقائديّة والفكريّة. ولهذا، فإنّ الوحدة المرجوّة، هي تلك الوحدة المرتكزة على الأصول الوحدويّة للبشر، التي ذكرها القرآن الكريم، إضافةً إلى الأصول والفروع التي بُنِيت عليها الشريعة الإسلاميّة، وكُلِّف بها أبناؤها وغيرهم، والتي من المفترض أن تقضي على ظاهرة التفرقة والتباين والتكفير ونحوها، وتلغي المعيقات كلّها، المصطنعة أو المدسوسة أو المنحرفة، التي تمنع تلاقي المسلمين ووحدتهم.